التشخيص الصحيح والشعور بالمسؤولية هي الحياة الطيبة

المكان: طهران

الزمان: 1389/10/19ش. 1432/2/4هـ. 2011/01/09م.

المناسبة: الذكرى السنوية لانتفاضة التاسع عشر من دي

الحضور: حشد من أهالي مدينة قم المقدسة

بسم الله الرحمن الرحيم

أهلاً ومرحباً بكم كثيراً أيها الإخوة والأخوات الأعزاء، وأشكركم فرداً فرداً على طيّكم هـذا الطريق، وحضوركم في هذه الحسينية، ونشركم فيها أجواء الحميمية وعلامات الإخلاص والمحبة المعهودة دوماً عن الإخوة والأخوات من أهالي قم.

أشكر الله وأنا مسرور على أن هذا اللقاء يقام بعد مدة قصيرة من زيارتي لقم، حيث أبدى أهالي قم الأعزاء وشباب قم ورجالها ونسائها في تلك الزيارة علامات الالتزام والوفاء للإسلام والدين والنظام الإسلامي، وأظهروا علامات البصيرة إلى درجة أن أعداء الشعب الإيراني أيضاً لم يستطيعوا التزام الصمت إزاء ذلك واعترفوا به.

يمكن دائماً معرفة أهمية الأعمال والممارسات عن طريق ردود أفعال الأعداء. هذا من طرق معرفة أهمية الأمور والخطوات والموضوعات. لو افترضنا أن شخصاً أصابكم ببدنه قليلاً وأنتم تمشون في الشارع، فقد لا يصدر عنكم رد فعل، لكنه إذا اعتدى عليكم وهاجمكم بقبضته ويده وحرابه فسوف تصدر عنكم ردود أفعال وتحرك، وهذا دليل حدوث شيء ضدكم. وهذا الشيء في الحالة الأولى شيء بسيط لا يجدر بالاهتمام، لكنه في الحالة الثانية أمر مهم، وبالتالي فردود الأفعال بوسعها إجلاء عظمة الأمور أو عدم أهميتها.

يرى الإنسان هذه القاعدة سارية جارية في كل شؤون الثورة وأمورها سواء الأمور الكبيرة أو الصغيرة وسواء الأحداث اليومية أو الأمور العامة المستمرة. ردود الأفعال التي صدرت في عالم الكفر والاستكبار حيال الثورة وحيال تأسيس نظام الجمهورية الإسلامية مؤشر على عظمة الأمر.

حينما بادرت الأجهزة والأنظمة التي تتوفر على القوة والقدرة في العالم، وتمتلك المال والسلاح والإعلام، وتسيطر على وسائل الإعلام، حينما بادرت بشكل متلاحم وواحد ومنذ اليوم الأول لتأسيس الجمهورية الإسلامية إلى اتخاذ خطوات وممارسات متنوعة ضد هذا النظام، فهذا دليل على أن الحدث الذي وقع يحظى بأهمية عظيمة لا تطاق بالنسبة لزعماء الظلم والاستكبار في العالم. وهذا هو الواقع، فالإسلام دين العدل والإنسانية ومجابهة الإجحاف واللاعدالة والظلم وغمط الحقوق. حسناً، الذين يستولي غمط الحقوق والظلم على كل كيانهم، ويعتبر قمع البشر وعواطفهم ووجودهم مبرر ظهورهم الأساسي، سوف يرتعبون بلا شك من تواجد الإسلام في الساحة ويعمدون إلى مجابهته. وهذا هو السبب في مجابهتهم للجمهورية الإسلامية. طبعاً هم يختلقون الذرائع، في كل فترة من الفترات يختلقون ذريعة معينة، لكن حقيقة الأمر هي تلك.

عرض الإسلام والجمهورية الإسلامية طريقاً جديداً على البشرية، وقدم للشعوب حركة غير مسبوقة، وأثبت أن شعباً مع أنه لا يمتلك أسلحة تذكر ولا إمكانيات مادية تذكر بوسعه المقاومة أمام أعتى وأشرس الحكومات في العالم وعدم الخضوع لها ومواصلة مسيرته ورفع راية العدل والإنصاف والإنسانية. هذا شيء جديد في العصر الحديث. هذا ما بدأتموه أنتم.. وكذا الحال بالنسبة لشتى قضايا الثورة.

وبخصوصكم أنتم تحديداً يا أهالي قم ثمة حساسية شديدة جداً يبديها أعداء البلد والثورة، فهم مستاؤون وسلبيون جداً من قم والقميين والحوزة العلمية وشباب قم ومعنويات أهالي قم، لماذا؟ لأنهم تلقوا صفعة من قم. الاستكبار والجبهة المعادية للإسلام والشعب الإيراني تلقت صفعة من قم. من الحالات والمصاديق التي تلقوا فيها الصفعة من قم هو يوم التاسع عشر من دي حيث شعر أهالي قم بالواجب والتكليف أسرع من الآخرين، وعرفوا الأوضاع وأدركوها وشعروا بالمسؤولية ونزلوا إلىالساحة. هذا شيء على جانب كبير من الأهمية. معرفة الأوضاع أمر مهم يحتاج إلى بصيرة وكذلك الشعور بالواجب والتكليف. لا بد من روح الالتزام والإيمان لكي

يشعر الإنسان بالتكليف والواجب. البعض يرون الأحداث العظيمة المزلزلة ويرون مخططات الأعداء لكنهم لا يشعرون بالواجب ولا يتحركون. والبعض يرون أن العدو يصطف، وحين يصطف العدو فلا بد لنا بدورنا أن نشعر بالواجب في مقابله فهذا من لوازم الالتزام والإيمان، لكن البعض لا ليس لديهم مثل هذا الشعور. طبعاً كانت مثل هذه الروح متوفرة لدى الشعب الإيراني العزيز وتعززت وتجذرت بالنهضة والحركة الإسلامية، وعبّرت عن نفسها في الثورة. لكن الأماكن كانت مختلفة. كان أهالي قم في الطليعة. وقد شعروا بالواجب في التاسع عشر من شهر دي ونزلوا إلى الساحة. والساحة لم تكن ساحة سهلة بل كانت ساحة صعبة وساحة مواجهة للرصاص والقمع العنيف الذي تمارسه أجهزة النظام الطاغوتي البوليسية والأمنية حيث لا يرحمون أحداً. لكن القميين نزلوا مع ذلك إلى الساحة.

هذه البصيرة وهذا الشعور بالواجب وهذا النزول إلى الساحة كان صفعة قوية للأعداء، وقد جاء التجاوب فجأة من تبريز، ثم من يزد ثم من المدن الأخرى، وهكذا ظهرت هذه الحركة الهائلة التي كان إمامنا الجليل قد مهّد أرضياتها منذ سنوات. كانت هذه صفعة. وحينما يتلقى العدو صفعة فسوف يحقد ويجابه. وإذا أردنا تقييم أنفسنا ومحاسبتها فحينما يزداد تكشير العدو عن أنيابه أمامنا يجب أن نعلم أن قدراتنا كبيرة وبوسعنا توجيه ضربة لهذا العدو.

هذا التحرك الذي أبداه أهالي قم الأعزاء عند زيارتي – أنا العبد الضعيف – وأبدته الحوزة العلمية والعلماء والشباب كان صفعة موجعة للعدو الذي بدت عليه الهشاشة مقابل هذا الاقتدار وهذه البصيرة وهذا التواجد الجماهيري الشامل. لقد كان هذا درساً لشعبنا الإيراني.
حيثما استطعنا أن نفهم الأمور ونشخصها بنحو صحيح – وهذه هي البصيرة – ونشعر تبعاً لذلك بالواجب والالتزام والمسؤولية ونتزل إلى الساحة كانت الغلبة لنا.. «فإذا دخلتموه فإنكم الغالبون»(1). عندما تدخلون الساحة بإيمان وبصيرة تكون الغلبة والنصر لكم، لماذا؟ لأن الطرف الذي يواجهكم لا إيمان له ولا دين ولا محفزات معنوية عميقة، وعناصره الميدانيون مرتزقة ومخدوعون، والمخططون والمحرضون أنفسهم لا إيمان لهم. عندما تدخلون الساحة بإيمان فإنكم الغالبون. هذه تجربة بالنسبة للشعب الإيراني.

استطاع الشعب الإيراني على مدى إحدى وثلاثين أو اثنتين وثلاثين سنة إنجاز أعمال كبيرة على أساس هذه التجربة. استطاع الارتفاع بمستواه وفق المعايير المادية – هذا التقدم العلمي والتقني

والعمل الدؤوب والمستمر في كل أنحاء البلد كلها علامات تقدم مادي – وكـــذلك اســـتطاع الارتقاء إلى مستوى عالٍ من الناحية المعنوية. لقد شاهدنا الآيات الإلهية وعلامات العون الإلهي. كنا في السابق نقرأ عن العون الإلهي وإمدادات يد القدرة الإلهية في الكتب فقط، واليوم نشعر بها في الساحة ونلمسها كما لمسها إمامنا الجليل وقال ذلك لي. كان قلبه قوياً لأنه يرى يد القـــدرة الإلهية.

لقد لمس الشعب الإيراني المعونات الإلهية وشعر بها في الميادين المختلفة. حينما يكـــون الشـــعب الإيراني في الساحة ومستعداً للجهاد فسوف يشعر بذلك في الحرب المفروضة بشكل، وفي الأمور المختلفة بشكل، وفي التحركات السياسية بشكل، وفي الفتن بشكل. في فتنة عـــام **88** كانـــت هناك يد القدرة الإلهية حيث تيقظ الناس ونزلوا إلى الساحة وأحبطوا تحركاً خطيراً.

لا يزال المجال كبيراً جداً لتحليل وشرح وإيضاح زوايا وأبعاد هذه الفتنة التي خطط لها العـــدو. كان الأعداء قد أعدّوا حسابات دقيقة جداً لكن حساباتهم كانت خاطئة فهم لم يعرفوا الشعب الإيراني بعد. كان العدو قد شاهد كل الأشياء وراء الكواليس. هؤلاء الذين تســـمونهم رؤوس الفتنة كانوا أشخاصاً دفعهم العدو إلى وسط الساحة. وقد ارتكبوا ذنباً بالطبع. يجب أن لا يكون الإنسان ألعوبة بيد الأعداء، بل عليه إدراك القضية واستيعابها فوراً. وإذا أصابته الغفلة في بداية المطاف وأدرك حقيقة الأمر بعد ذلك فيجب عليه تغيير مساره فوراً. لكنهم لم يفعلـــوا ذلـــك. العامل الأصلي كان آخرون خططوا للأمر وحسبوا حساباتهم كمـــا يتصـــورون. توهمـــوا أن الجمهورية الإسلامية ستسقط، ولن تبقى لا حقيقة الدين ولا حتى الشعارات الدينية. هذه كانت خطتهم. كان تخطيطهم أنهم إذا استطاعوا فسوف يرتبون وضع الحكومة كما يحلو لهم، وكـــان واضحاً ماذا سيكون طريقهم بعد ذلك وماذا سوف يفعلون. وإذا لم تترتب أوضاع الحكومـــة والدولة حسب ما يشتهون ولم يتيسر ذلك لهم فيشيعون الاضطرابات في البلد. وأرادوا حسب أوهامهم – وقد ذكرت هذا في حين – أن يختلقوا نموذجاً كاريكـــاتيراً للثـــورة الإســـلامية – كالظلال التي تقلد حركات البطل وتتظاهر بأدائه – ويقلدوا أداء الثورة. هذا كان مخططهـــم. لكن الشعب الإيراني صفعهم على أفواههم وقضى على مخططهم.

الثورة اليوم والجمهورية الإسلامية والشعب الإيراني والخط الديني الصحيح في الـــبلاد أقـــوى وأوضح بكثير مما كان عليه قبل أحداث العام الماضي، والسبب هو أن الله تعالى كلما امـــتحن

أعطى درجات. حينما ينجح الشخص أو الجماعة أو الشعب في الامتحان فسوف يعطيهم الله درجات، ودرجاتهم هي أن يرفعهم. هكذا هي الامتحانات الإلهية. كما لو أسأنا التصرف في الامتحان وخسرنا الامتحان ومنحنا الله درجة رسوب وسقوط، وذلك السقوط عبارة عن الهبوط والانحطاط وأن يسوء وضع الإنسان أكثر مما كان عليه، كذلك لو نجحت الشعوب في الامتحانات فإن الله يرفعها.

في فترة من الفترات رسب الناس في أحد الامتحانات، وضرجوا الإمام أمير المؤمنين بدمائه في محراب العبادة. كان امتحاناً ذا نتائج سيئة. لماذا يصل وضع المجتمع إلى حيث يتضرج مظهر العدالة والمعنوية والتوحيد بالدماء على يد أشقى الناس؟ كان ذلك مؤشر امتحان سيئ خاضه الناس. حينما دخلوا هذا الامتحان سقطوا، لذلك خفضهم الله وأسقطهم ووصل بهم الأمر إلى أن يُقتل الإمام الحسين بن علي أمام أعينهم!

حينما تنجحون في الامتحان يرفعكم الله. خط الإسلام اليوم وخط الإيمان بالله وخط الثورة في البلاد وبين الشعب أقوى وأعمق وأرفع بكثير مما كان عليه قبل الفتنة. لماذا؟ لأن الشعب نجح في الامتحان وهذه درجة إلهية. صار هذا بالنسبة لنا أمراً ودستوراً نعمل به. ينبغي العمل على هذه الشاكلة في جميع القضايا. يجب النظر بصورة صحيحة والتقييم بصورة صحيحة وحساب الأمور بصورة صحيحة. وعلينا الحذر من أن نخطأ في حساباتنا، ولا نخلط القضايا الأصلية بالقضايا الفرعية، فلا نرى الأحداث والأمور الكبرى والمهمة صغيرة، وفي المقابل لا نرى الأحداث الصغيرة كبيرة. يجب التشخيص بصورة صحيحة. هذه هي الخطوة الأولى ومن ثم يجب الشعور بالمسؤولية. هذه هي الحياة الطيبة للشعب الحي. الحياة الطيبة التي وعد الله بها المؤمنين «ولنحيينه حياة طيبة» (2) معناها هذا.. معناها التقدم والنجاح يوماً بعد يوم في الامتحانات المختلفة. الذين يقضون نحبهم في هذا الطريق يحظون بلقاء الله ومراتب السعادة العليا، والذين يبقون على قيد الحياة يتقدمون معنوياً ومادياً باستمرار، فهناك التقدم المادي أيضاً.

بدأ الشعب الإيراني طريقاً وانتصر في امتحانات عديدة. كان امتحان الحرب المفروضة امتحاناً كبيراً. وقد انتصر الشعب في هذا الامتحان. ولم يكن هناك الانتصار في الحرب فقط بل كان هناك أيضاً والأهم من الانتصار الأول الانتصار في المعايير المعنوية والإلهية. ذلك أن الشعب أبدى صبره وإيثاره وبصيرته وتضحياته واستعداده للتحرك في سبيل الله. وقد أخذ الله تعالى بيد هذا

الشعب نحو الرقي والرفعة لحد اليوم. وكذا سيكون الحال بعد اليوم أيضاً. الأعداء الذين يبرزون لشعب إيران لا يفهمون هذه الحقائق ولا يدركونها.

الشعب الإيراني اليوم مقتدر في سياساته الداخلية وفي سياساته الخارجية وفي تأثيره على المنطقة وعلى القضايا العالمية المهمة. هذه حقائق.. والعدو يريد أن يسلك كل هذه الطرق ليشتبك مع شعب إيران ويختلق له العراقيل والعقبات، وسوف لن يستطيع بطبيعة الحال. العدو يروم خلق المشكلات للشعب على الصعيد الاقتصادي وإيجاد المتاعب للمسؤولين – هذا الحظر والكلام الذي تسمعون به – لكنهم لم يستطيعوا. وعلى صعيد الشؤون الخارجية يحاولون إخافة البلدان والحكومات والدول والشعوب من إيران. كل هذا الحجم الهائل من الإعلام الذي يجترحه الأمريكان والصهاينة والأوربيون التابعون لهم – وتتبعهم بعض الحكومات التافهة المسكينة – فيما يتعلق بحقوق الإنسان وبالطاقة النووية وبالقنبلة النووية الوهمية، كله من أجل تخريب ذهنية العالم وذهنية المنطقة بخصوص إيران، لكنهم لم يستطيعوا ذلك. والسبب في أنهم لم يستطيعوا هو أن أمريكا هزمت حالياً في منطقتنا في ما يتصل بشؤون فلسطين وشؤون لبنان وقضايا أفغانستان وقضايا العراق. من هو الذي هزم أمريكا؟ هزمتهم سياسة الشعوب الصحيحة. إنهم يقولون إن إيران هي طرفنا المقابل في مختلف قضايا المنطقة. وطرفهم ليس إيران. تأثير الجمهورية الإسلامية تأثير معنوي. نعم، اقتدار الجمهورية الإسلامية يوقظ الشعوب. لا شك في هذا. وستكون النتيجة أن تتولى السلطة في العراق حكومة يبذل الأمريكان كل سعيهم لكي لا تتولى السلطة، لكنها تتولى السلطة بسبب هذه اليقظة الجماهيرية. هكذا هو تأثير الجمهورية الإسلامية. وكذا الحال في أماكن أخرى.

سوف نستمر في هذا الطريق. لقد عرفنا القمم ونعلم إلى أين نروم المسير.. «لتكونوا شهداء على الناس» (3). هذا درب يجب أن يوصل شعبنا إلى الإسلام الأصيل الكامل، وفي هذا خير الدنيا والآخرة. الحياة الطيبة في الدنيا والآخرة تكمن في الإسلام الكامل. ولا نزال بعدُ في بدايات الطريق. ولدينا الكثير من النواقص. ولا تزال هناك مسافات كبيرة تفصلنا عن الإسلام الكامل. هذا هو طريقنا. وقد عرفنا هذه القمم. وقد دلنا الله تعالى والحمد له على الطريق، وعزيمة الشعب والمسؤولين في البلاد وإرادتهم للمسير في هذا الطريق عزيمة وإرادة جيدة.. إنها عزيمة قوية وإرادة صلبة.

طبعاً يجب أن نكون متيقظين. الجميع يجب أن يكونوا متيقظين. لا نريد أن نضع وسائد ناعمة تحت رؤوسنا ويجب أن لا نفعل ذلك أو نهدهد أنفسنا ونقول دوماً إن العدو قد هزم وإنه ضعيف وإننا أقوياء. هذا الكلام يجب أن لا يدفعنا إلى النوم بل يجب أن نكون واعين صاحين، وكما قال الإمام أمير المؤمنين «وإن أخا الحرب الأرق ومن نام لم يُنم عنه»(4). حينما يكون لكم صراعكم يجب أن تكونوا واعين يقظين، فالصراع ليس بيدي أو بأيديكم. العدو يريد هذا الصراع، سواء كان صراعاً سياسياً أو أمنياً أو اقتصادياً. وليس الصراع كله صراعاً عسكرياً. حينما يكون ثمة صراع يجب التيقظ. يجب على الشباب أن يكونوا يقظين صاحين، وعلماء الدين يجب أن يكونوا صاحين، والجامعات ينبغي أن تكون واعية يقظة، ومسؤولو البلاد ينبغي أن يتحلوا باليقظة، ويقظة المسؤولين في أن عليهم تقديم الخدمة للجماهير ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً والانهماك في العمل الدؤوب والحفاظ على هذا التلاحم – الذي هو كالشوكة في عيون الأعداء – ما استطاعوا.

وفقكم الله وأيّدكم.. اللهم بمحمد وآل محمد أفض من معين لطفك على هذا الشعب العزيز. ربنا ثبت أقدامنا على هذا الدرب. ربنا احشر أرواح الشهداء الطيبة والروح الطاهرة لإمامنا الجليل مع أوليائك.

والسلام عليكم ورحمة الله..

الهوامش:

1 – سورة المائدة، الآية: 23.

2 – سورة النحل، الآية: 97.

3 – سورة البقرة، الآية: 143.

4 – نهج البلاغة، الكتاب: 62.